

## بحوث فقهية مهمّة

[278] الولد والمال كانت من أسباب القوّة والقدرة. وقال تعالى أيضاً في سورة القصص

مشيراً إلى قارون المستكبر : (أَوَلَمْ يَعْزِلْهُمُ اللَّهُ أَنْ يَنْبَغُوا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مِيرَاثَةٌ فِي الْأَرْضِ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ إِنْ لَمْ يَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَتَخْلُبُنَّهُ أَعْيُنُهُمْ الْفُلُوكُ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُنَاصِرُ الْمَلَائِكَةَ) (1). وهذه الآية تدلّ على أنّ كثرة الجمع أمر قرين للقوّة، وحينئذ لو ثبت لنا بالأدلة

القطعية أن كثرة النفوس في بعض الأزمنة توجب الضعف والوهن والفقر والجهل والمرض والبطالة، فلا تكون امراً يفتخر به، بل تكون سبباً للتواني والفشل. وبذلك تخرج عن شمول تلك الآيات والروايات؛ لأنّها وردت في ظروف أخرى ناظرة الى اُناس آخرين. وأنت ترى في العصر الحاضر أنّه لا يفتخر إنسان على غيره بأزّي أكثر منك مالاً وولداً، نعم يمكن أن يفتخر بماله، ولكن لا يفتخر بكثرة أولاده. وممّا يشهد على ما ذكرناه قوله تعالى في سورة الأنفال مخاطباً للمسلمين : (وَإِذْ أَنتُمُ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى الْأَرْضِ رَضًا فَذَلَا فَؤُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمُ

بِإِذْنِهِ (2). فكان المسلمون قليلينَ بحيث يمكن أن يتخطَّهم الناس، فوجب عليهم في هذه الظروف الاهتمام بكثرة الأفراد وتكثير الأولاد، حتَّى لا يقدر أعداؤهم على السيطرة عليهم. أمّا لو فرض زمان تكون الكثرة فيه سبباً للاستضعاف فلا شكَّ أنَّ الحكم يتغيَّر. كما هو الأمر في زماننا فقد صارت كثرة النفوس سبباً للضعف والفتور والتخلُّف، وتشهد لذلك عدَّة مؤشِّرات : 1 - كان كثرة النفوس في السابق سبباً للتقدُّم والغلبة، لا سيَّما في الحروب، فإنَّ \_\_\_\_\_ (1) القصص : 78. (2) الأنفال : 26.